كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين. وبعد...

فقـد اختصـ الله تعالى العنصر البشري بالعلم والمعرفة، ودعاه إلى التفكير في الكون والأخذ بأسباب العلم من سائر مخلوقاته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

هذا ومما لا شك فيه أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ لذا وجب على كلٍّ أن ينفر لتحصيل العلم؛ لأننا نحتاج إلى العلماء، إذ القوة في هذا الزمن هي قوة العلم نستنـير بـه، وبه نهتدي إلى طريق المجد والرفعة، وديننا الحنيف يحثنا على العلم والتفـوق في جميع مجالاته النافعة، وقد جعل الخشية من الله عز وجل منوطة بالعلماء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وشرّف أهل العلم، ورفع منزلتهم وقدرهم قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فالله سبحانه وتعالى بدأ بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلّث بأهل العلم، فأي شرف بعد هذا الشرف؟ وأي فضل بعد هذا الفضل؟ وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام». وقال صلى الله عليه وسلم: ((العلماء ورثة الأنبياء)). يقول الإمام الغزالي في تعليقه على هذا الحديث في إحيائه: «ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة».

وقـال صلـى الله عليه وسلـم: ((إن الحكمة تزيد الشريف شرفًا وترفع المملوك حتـى يدرك مدارك الملوك)). يقول الإمام الغزالي: «وقد نبـه بهذا على ثمرته في الدنيا، ومعلـوم أن الآخـرة خـير وأبقى». ومن الآثار الواردة عن الإمام علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– أنه قال لكميـل: «يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق». وقال رضي الله عنه:

ما الفخر إلا لأهـل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجـاهلون لأهـل العلم أعداء
ففـز بعـلم تعـش حيًّـا به أبدا ... الناس موتى وأهـل العلم أحياء

فالعلـم أثمـن درة علـى تاج الشرع المطهر لا يصل إليه إلا من تحلى بآدابه، وتخلى عن آفاته، والعلم والفقه سلاح الأمة إذا أرادت القيادة والسيادة؛ لذا كان أول ما نزل علـى سيدنـا محمد –صلى الله عليه وسلم– من القرآن الكـريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ١–٥].

والعلم مقدم على العمل؛ لأنه هو الذي يميز الحق من الباطل في الاعتقادات والمشروع من المبتدع في العبادات والصحيح من الفاسد في المعاملات والحلال من الحرام في التصرفات والفضيلة من الرذيلة في الأخلاقيات؛ لذا قال صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)). متفق عليه.

ورسالـة الإسـلام تتميز بخصائص عـدة استحقت بها أن تكون خاتمة للرسالات السماوية ومهيمنة عليها، وصالحـة للتطبيق في كل زمان ومكان وفي كافة الأحوال، مـن هـذه الخصائص: الجمع بين الثبات والمرونة أعني بذلك الثبات على الأصول والكليات، والمرونـة في الفروع والجزئيات، والثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشئون الدنيوية العملية.

ولا جدال في أن البحث العلمي يحتل في الوقت الراهن مكانًا بارزًا في تقدم النهضة العلمية وتطورها من خلال إسهام الباحثين بإضافاتهم المبتكرة إلى رصيد المعرفة والعلـم الـذي يحتل الصادرة منـه العلم الشرعي حيث إن فلاح الأمة الإسلامية في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالهـا في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون.

وقد نهجت دار الإفتاء المصرية في ثوبها الجديد نهجًا طيبًا مباركًا يقوم على تدوين العلم الشرعي والحكم الفقهي في مجلة علمية محكّمة يُشرف عليها فضيلة العالم الجليل الأستـاذ الدكتـور علـي جمعة مفتي الجمهورية مع كوكبة من أهل العلم إذ لا خلاف في أن تقييد العلم الشرعي بالكتابة فيه أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج. قال الشعبي: «إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو على الحائط».

ولله در من قال:

العلم صيد والكتـابة قيـده ... قيِّد صيودك بالحبـال الواثـقةْ

فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركـها بين الخـلائق طـالقةْ

أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل أثرًا صالحًا، وأن يكون قبلة لأهل العلم والعلماء، والله من وراء القصد يقول الحق وهو يهدي السبيل.

أ.د/ أسامة محمد العبد

أستاذ الفقه ووكيل كلية الشريعة والقانون بالقاهرة